

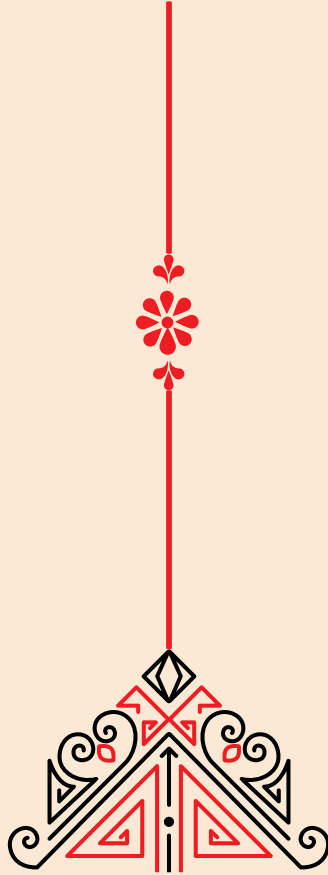


التَّوَكُّلُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى

حقيقته وأقسامه



الشيخ الدكتور عبد الله المزروعى



التَّوَكُّلُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى

حقيقته وأقسامه

التَّوَكُّلُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى

حقيقته وأقسامه

الشيخ

الإمام أحمد بن محمد بن عبد الله الزرعي

شبكة بيتونة للعلوم الشرعية

حقوق الطبع و محفوظة

للمزيد من الكتب



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

علم الرعية



@BaynoonanetUAE



@Baynoonanet



www.baynoona.net

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله لا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛

فإننا نحمد الله **عَزَّجَلَّ** على نعمة الإسلام، ونسأل الله **عَزَّجَلَّ** أن يرزق الجميع الإخلاص في القول والعمل، وأن يجعل ذلك في موازين أعمالنا يوم القيامة، وكتابة اليوم: التوكل على الله **عَزَّجَلَّ**.

إذا نظرنا في أعمال القلوب التي هي أصل الإيمان ومادته نجد أنه ما من مقام أجمع لعلم القلب وعمله من التوكل على الله **عَزَّجَلَّ**، التوكل على الله **عَزَّجَلَّ** من أكد أعمال القلوب، ومن أشرف أعمال القلوب،

التوكل على الله تعالى

حقيقته وأقسامه

المقام الذي لا يمكن أن يستغني عنه الإنسان أبداً،
فإما أن يحقق التوكل على الله الذي بيده ملكوت كل
شيء، وإما أن يكون متوكلاً على مخلوق ضعيف
مثله، شأنه شأن المخلوقات الضعيفة التي لا تملك
لنفسها نفعا ولا ضرا، يظهر ذلك جليا على بقية
الأعمال القلبية الأخرى، فإذا صدق التوكل على الله
عَزَّجَلَّ في القلب ظهر أثر ذلك جليا على بقية الأعمال
القلبية الأخرى، وهكذا بعد ذلك يستتبع أعمال
الجوارح الظاهرة أيضا، لأجل ذلك قيل كما روي
عن أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قال: «القلب ملك والأعضاء
جنوده، فإذا صلح الملك صلحت جنوده، وإذا
خبث الملك خبثت جنوده»^(١)، ومن هنا كان سلفنا
الصالح يعنون ببيان هذا المقام الرفيع للتوكل على
الله **عَزَّجَلَّ** حتى جعله ابن عباس **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا** جماع الإيمان،

(١) مجموع الفتاوى (٧/١٨٧).

وهكذا قال في حق التوكل سعيد ابن جبير رَحِمَهُ اللهُ قَالَ: «التوكل نصف الإيمان»^(٢).

إذاً إذا نظرنا إلى أحوال الناس أنواع الناس في التوكل فنجد تبايناً في أحوال الناس في أمر التوكل، فمنهم من استولت عليه الماديات حتى حمل ذلك أكثرهم على التعلق الشديد بالدنيا والتكالب عليها، على نحو استحوذ على عقولهم وأذهانهم، وأثر ذلك على ضعف أعمال القلوب لديهم، والتوكل على الله من بين أعمال القلوب، قاد هذا الضعف إلى قلة الكتابة والكلام في هذا الموضوع الإيماني المهم التوكل على الله عَزَّجَلْ؛ لأن أكثر الناس عولوا على الأسباب تعلقوا بالأسباب فرحين بما عندهم من العلم، معتمدين على ما أوتوا من قوة من وسائل مادية فأكثرهم نسوا الله عَزَّجَلْ، ورضوا بالحياة الدنيا.

(٢) ينظر: جامع العلوم والحكم (٣/١٢٦٦).

التوكل على الله تعالى

حقيقته وأقسامه

النوع الثاني من الناس في التوكل من رضي لنفسه بالعود، وآثر الإخلاق إلى الأرض، أعماه الكسل والخمول أخذ يبحث عن حجة يحتمي بها، مظهرا شعار التوكل على الله، زاعما أن التوكل يقتضي ترك الأسباب، وينافي الأخذ بها، فهؤلاء قبعوا في الزوايا والخلوات ورضوا من الرزق بالإحسان إليهم والصدقات.

نوع ثالث من أنواع الناس في التوكل: أقوام يبدو عليهم الصلاح، يظهر عليهم الحرص على طاعة الله، لكن جانب التوكل عندهم قد ضعف، غفلوا عنه نظروا إلى الرزق والحطام أشفقوا على الأهل والأولاد، فلم يتكلموا بكلمة الحق، أقعدهم ذلك الإشفاق عن القيام بالإصلاح، وهم يعلمون حاجة الأمة إلى الإصلاح، من الناس أقوام غيرون على دين الله، تنبض قلوبهم بحرارة الإيمان راغبون في تدارك ما كان فرط منهم،

وغلبتهم شهوتهم، فهم يسعون جاهدين للإصلاح، قد قوي توكلهم على الله تعالى واعتمادهم عليه **سُبْحَانَكَ وَتَعَالَى**، وإيمانهم بوعده المحقق، أنستهم هذه الفورة ما كان يتعين عليهم من الأخذ بالأسباب، والاعتبار بالسنن الإلهية حتى جرهم ذلك إلى ما لا تحمد عقباه.

أيضا من أنواع الناس في التوكل: منهم من عرف الطريق فلزمه، عرف الله فوثق بنصره، عرف ما يجب عليه من الحق فصدع به قياما بالواجب والتماسا لمرضاة الله وابتغاء ما عنده، نالهم من جراء ذلك ما جرت به سنة الله: ﴿ **أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ** ٢٠ ﴾ **وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكٰذِبِينَ** ﴾ [العنكبوت: ٢ - ٣]، نسأل الله تعالى للجميع الثبات على الحق.

مقدمة لا بد منها فنذكر من خلال هذه الكتابة: تعريف التوكل على الله **عَزَّوَجَلَّ**، وبعض الأدلة من الكتاب والسنة،

التوكل على الله تعالى

حقيقته وأقسامه

نتكلم عن بعض الأحكام والفوائد المتعلقة بالتوكل على الله عَزَّوَجَلَّ، وحقيقة التوكل، أقسام التوكل على الله عَزَّوَجَلَّ، أقسام التوكل على غير الله، ثم نذكر درجات التوكل على الله عَزَّوَجَلَّ، ونختم بمسألة علاقة الأسباب بالتوكل.

تعريف التوكل على الله عَزَّوَجَلَّ:

التوكل على الله تعالى لغة: قال ابن الأثير رَحِمَهُ اللهُ: «توكل بالأمر، إذا ضمن القيام به، ووكلت أمري إلى فلان: أي ألجأته إليه واعتمدت فيه عليه، ووكل فلان فلانا، إذا استكفاه أمره ثقة بكفايته، أو عجز عن القيام بأمر نفسه» ^(٣)، وهكذا يقول في المصباح المنير: «وكلت الأمر إليه وكلا من باب وعد ووكولا، فوضته إليه واكتفيت به وتوكل على الله اعتمد عليه ووثق به واتكل عليه في أمره كذلك» ^(٤)، وهكذا يقول صاحب مختار الصحاح: «التوكل إظهار العجز والاعتماد على غيرك،

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر (٥/ ٢٢١).

(٤) المصباح المنير (٢/ ٦٧٠).

والاسم التكلان»^(٥)، هذا في لغة العرب .

أما في الشرع: فيقول ابن جرير الطبري **رَحْمَةُ اللَّهِ**:
 «والصواب في حد التوكل الثقة بالله تعالى والاعتماد في
 الأمور عليه، وتفويض كل ذلك إليه بعد استفراغ الوسع
 في السعي فيما بالعبد الحاجة إليه من أمر دينه ودنياه
 على ما أمر به من السعي فيه»^(٦)، إذاً الأخذ بالأَسباب،
 ويقول الحافظ ابن رجب **رَحْمَةُ اللَّهِ** في كتابه جامع العلوم
 والحكم: «وحقيقة التوكل: هو صدق اعتماد القلب
 على الله - **عَزَّوَجَلَّ** - في استجلاب المصالح، ودفع المضارِّ
 من أمور الدنيا والآخرة كُلِّها، وكِلَةُ الأمور كُلِّها إليه،
 وتحقيق الإيمان بأنه لا يُعطي ولا يمنع ولا يضرُّ ولا
 ينفع سواه **عَزَّوَجَلَّ**»^(٧)، وهكذا عرفه أيضا في مكان آخر
 في جامع العلوم والحكم^(٨) يقول الحافظ ابن رجب:

(٥) مختار الصحاح (ص ٣٤٤).

(٦) ذكره ابن بطال في شرحه لصحيح البخاري (٤٠٨/٩).

(٧) جامع العلوم والحكم (ص ٤٠٩).

(٨) ينظر جامع العلوم والحكم (٥٠٥/٢).

التوكل على الله تعالى

حقيقته وأقسامه

التوكل هو قطع الاستشراف باليأس من المخلوقين كما قال الإمام أحمد واستدل عليه بقول إبراهيم عليه السلام لما عرض له جبرائيل في الهواء وقال: ألك حاجة فقال: أما إليك فلا، ويذكر الحافظ ابن رجب في كتابه جامع العلوم والحكم^(٩) أثرا عن الحسن البصري **رَحْمَةُ اللَّهِ** قال: «توكل العبد على ربه أن يعلم أن الله هو ثقته»، هكذا ابن القيم **رَحْمَةُ اللَّهِ** أيضا ذكر تعريف التوكل قال: «التوكل عمل القلب وعبوديته اعتمادا على الله وثقة به والتجاء إليه وتفويضها إليه، ورضاه بما يقضيه لعلمه بكفايته سبحانه وحسن اختياره لعبده إذا فوض إليه مع قيامه بالأسباب المأمور بها واجتهاده في تحصيلها»^(١٠)، وهكذا أشار إلى هذا الكلام في كتابه زاد المعاد^(١١)، هكذا يقول الشيخ أيضا عبد الله ابن

(٩) (ص ٤٠٩).

(١٠) الروح (ص ٣٤٣).

(١١) ينظر: زاد المعاد (٤/ ١٥).

محمد بن عبد الوهاب **رَحْمَةُ اللَّهِ** قال: « التوكل إسناد العبد أمره إلى الله وحده لا شريك له في جميع أموره الدينية والدنيوية» ^(١٢)، ويقول الشيخ محمد صالح العثيمين **رَحْمَةُ اللَّهِ** عن التوكل: «صدق الاعتماد على **عَزَّجَلَّ** في جلب المنافع ودفع المضار مع فعل الأسباب التي أمر الله بها» ^(١٣). هذه أقوال العلماء في تعريف وحد التوكل لغة وشرعا.

الأدلة كثيرة في الكتاب والسنة تدل على وجوب التوكل على الله **عَزَّجَلَّ**، فالله **عَزَّجَلَّ** قال: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣] ويقول الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [التغابن: ١٣] ويقول الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ﴾ [الطلاق: ٣] آيات كثيرة، وهكذا عن ابن عباس **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا** قال: «حسبنا الله ونعم الوكيل، قالها إبراهيم **عَلَيْهِ السَّلَامُ** حين ألقى

(١٢) الكلمات النافعة (ص ٣٣٣).

(١٣) المجموع الثمين (١/٦٦).

التَّوَكُّلُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى

حقيقته وأقسامه

في النار وقالها محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين قالوا له: ﴿إِنَّ

النَّاسَ قَدْ جَبَعُوا لَكُمْ فَأَخْشَوْهُمْ فزَادَهُمْ إِيْمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا

اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آلِ عِمْرَانَ: ١٧٣] (١٤)، وعن عمر بن

الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَوْ

أَنْتُمْ تَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ، لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ

الطَّيْرَ، تَغْدُو خِمَاصًا، وَتَرْوِحُ بِطَانًا» (١٥)، كذلك أيضا

من السنة عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

كان يقول: «اللَّهُمَّ لَكَ أَسَلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ

تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنْبَتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ

بِعِزَّتِكَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَنْ تُضِلَّنِي، أَنْتَ الْحَيُّ الَّذِي لَا

يَمُوتُ، وَالْجِنُّ وَالْإِنْسُ يَمُوتُونَ» (١٦).

هنا نذكر من أحكام وفوائد تتعلق التوكل على الله عز وجل:

(١٤) رواه البخاري (٤٥٦٣).

(١٥) رواه أحمد (٢٠٥)، والترمذي (٢٣٤٤)، والنسائي (١١٨٠٥)، وابن ماجه (٤١٦٤).

(١٦) رواه مسلم (٢٧١٧).

صلة التوكل بالعبادة والإيمان، الله **عَزَّجَلَّ** قال: ﴿ **وَعَلَى**
اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ الصلة وثيقة بين التوكل
والإيمان، يقول ابن القيم **رَحْمَةُ اللَّهِ**: «جعل التوكل شرطا
في الإيمان فدل على انتفاء الإيمان عند انتفاء التوكل
وفي الآية الأخرى: ﴿ **فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ** ﴾ [يونس: ٨٤]
فجعل دليل صحة الإسلام التوكل، وقال تعالى: ﴿ **وَعَلَى**
اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ ذكر اسم الإيمان ها
هنا دون سائر أسمائهم دليل على استدعاء الإيمان
للتوكل»، ثم يقول: «وإن قوة التوكل وضعفه بحسب
قوة الإيمان وضعفه، وكلما قوي إيمان العبد كان توكله
أقوى وإذا ضعف الإيمان ضعف التوكل وإذا كان التوكل
ضعيفا فهو دليل على ضعف الإيمان ولا بد، والله تعالى
يجمع بين التوكل والعبادة وبين التوكل والإيمان وبين
التوكل والإسلام وبين التوكل والتقوى وبين التوكل
والهداية فظهر أن التوكل أصل لجميع مقامات الإيمان

التوكل على الله تعالى

حقيقته وأقسامه

والإحسان ولجميع أعمال الإسلام، وأن منزلته منها منزلة الجسد من الرأس، فكما لا يقوم الرأس إلا على البدن كذلك لا يقوم الإيمان ومقاماته و أعماله إلا على ساق التوكل»^(١٧)، إذا التوكل من أعمال القلوب كالمحبة والإنابة والخوف والرجاء والمراقبة هذه أعمال القلوب، قال السعدي **رَحْمَةُ اللَّهِ**: «التوكل على الله من أعظم واجبات التوحيد والإيمان، وبحسب قوة توكل العبد على الله يقوى إيمانه، ويتم توحيده، والعبد يضطر إلى التوكل على الله والاستعانة به في كل ما يريد فعله أو تركه من أمور دينه أو دنياه»، كلام قيم من هذا الإمام العلامة عبد الرحمن السعدي **رَحْمَةُ اللَّهِ**^(١٨)، ويقول ابن القاسم **رَحْمَةُ اللَّهِ** عن التوكل: «هو عبادة من أجل العبادات بل هو أجل أنواع العبادات

(١٧) طريق الهجرتين (ص ٢٥٥ وما بعدها).

(١٨) كلامه في كتابه القول السديد (ص ١٠١).

وأعلى مقامات التوحيد» (١٩) .

حقيقة التوكل:

قال ابن رجب **رَحْمَةُ اللَّهِ**: «حقيقة التوكل تفويض الأمور إلى من هي بيده فمن توكل على الله في هدايته وحراسته ورزقه وغير ذلك من مصالح دينه ودنياه تولى الله مصالحه كلها، وهذا حقيقة الوثوق بالله وبرحمته كما في هذا الدعاء: ولا أثق إلا برحمته فمن وثق برحمته فقد حقق التوكل به في توفيقه وتسديده» (٢٠)، هكذا يقول الشيخ عبد الرحمن السعدي **رَحْمَةُ اللَّهِ** عن حقيقة التوكل: «وحقيقة التوكل على الله: أن يعلم العبد أن الأمر كله لله، وأنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه هو النافع الضار المعطي المانع، وأنه لا حول ولا قوة إلا بالله، فبعد هذا العلم يعتمد بقلبه على ربه في جلب مصالح دينه ودنياه، وفي دفع المضار،

(١٩) حاشية ثلاثة الأصول (ص ٣٨).

(٢٠) منهج الحفاظ ابن رجب في العقيدة (ص ٣٧٢).

التوكل على الله تعالى

حقيقته وأقسامه

ويثق غاية الوثوق بربه في حصول مطلوبه، وهو مع هذا باذل جهده في فعل الأسباب النافعة، فمتى استدام العبد هذا العلم وهذا الاعتماد والثقة فهو المتوكل على الله حقيقة، وليبشر بكفاية الله له ووعدته للمتوكلين، ومتى علق ذلك بغير الله فهو شرك، ومن توكل على غير الله، وتعلق به، وكل إليه وخاب أمله» (٢١).

نتكلم في مسألة أيضا مهمة في هذه الكتابة عن التوكل على الله وهي: أقسام التوكل على الله، قال ابن القيم **رَحْمَةُ اللَّهِ**: «التوكل على الله نوعان: أحدهما توكل عليه في جلب حوائج العبد وحظوظه الدنيوية أو دفع مكروهاته ومصائبه الدنيوية الثاني - يعني من أقسام التوكل - التوكل عليه في حصول ما يحبه هو ويرضاه من الإيمان واليقين والجهاد والدعوة إليه وبين النوعين من الفضل ما لا يحصيه إلا الله،

(٢١) القول السديد (ص ١٠١).

فمتى توكل عليه العبد في النوع الثاني حق توكله كفاه النوع الأول تمام الكفاية، ومتى توكل عليه في النوع الأول دون الثاني كفاه أيضا لكن لا يكون له عاقبة المتوكل عليه فيما يحبه ويرضاه، فأعظم التوكل عليه التوكل في الهداية وتجريد التوحيد ومتابعة الرسول وجهاد أهل الباطل» (٢٢)، كلام قيم جدًا فأعظم التوكل عليه التوكل في الهداية وتجريد التوحيد ومتابعة الرسول وجهاد أهل الباطل، هذا قسمان من أقسام التوكل على الله، التوكل عليه **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** في جلب حوائج العبد وحظوظه الدنيوية أو دفع مكروهاته ومصائبه الدنيوية، التوكل الثاني في حصول ما يحبه الله **عَزَّ وَجَلَّ** ويرضاه من الإيمان واليقين والجهاد والدعوة إليه والمتابعة لرسول الله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**.
 أما أقسام الناس في التوكل على غير الله فهذه مقامات، فمن الناس متوكل على ماله ومتوكل على نفسه

التوكل على الله تعالى

حقيقته وأقسامه

ومتوكل على لسانه ومتوكل على سيفه ومتوكل على سلطنته ومتوكل على الله **عَزَّجَلَّ**، فأما التوكل على الله فقد وجد الاسترواح، نوه الله **عَزَّجَلَّ** ورفع قدره وقال: ﴿ **وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ** ﴾ [الفرقان: ٥٨]، وأما من كان مستروحا إلى غير الله يوشك أن ينقطع به فيشقى، الاسترواح في التوكل على الله **عَزَّجَلَّ** وحده لا شريك له، فمن توكل على الله **عَزَّجَلَّ** رفع الله **عَزَّجَلَّ** قدره، وأما من توكل على غيره فيوشك أن ينقطع به فيشقى،

ولذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية **رَحْمَةُ اللَّهِ**: «القلب لا يتوكل إلا على من يرجوه فمن رجا قوته أو عمله أو علمه أو حاله أو صديقه أو قرابته أو شيخه أو ملكه أو ماله غير ناظر إلى الله كان فيه نوع توكل على ذلك السبب، وما رجا أحد مخلوقا أو توكل عليه إلا خاب ظنه فيه فإنه مشرك: قال الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿ **وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ** ﴾

أَوْ تَهْوَى بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٢٣﴾،

يقول الشيخ سليمان بن عبد الله **رَحِمَهُ اللهُ**: « لكن التوكل على غير الله قسمان: أحدهما: التوكل في الأمور التي لا يقدر عليها إلا الله، كالذين يتوكلون على الأموات والطواغيت في رجاء مطالبهم من النصر والحفظ والرزق والشفاعة، فهذا شرك أكبر فإن هذه الأمور ونحوها لا يقدر عليها إلا الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**.

الثاني: التوكل في الأسباب الظاهرة العادية، كمن يتوكل على أمير أو سلطان، فيما جعله الله بيده من الرزق أو دفع الأذى ونحو ذلك، فهذا نوع شرك خفي، والوكالة الجائزة هي توكل الإنسان في فعل مقدور عليه، ولكن ليس له أن يتوكل عليه وإن وكله، بل يتوكل على الله ويعتمد عليه في تيسير ما وكله فيه كما قرره شيخ الإسلام» (٢٤)،

(٢٣) مجموع الفتاوى (١٠/٢٠٧).

(٢٤) تيسير العزيز الحميد (ص ٤٩٧).

التوكّل على الله تعالى

حقيقته وأقسامه

يقول الشيخ العثيمين **رَحِمَهُ اللهُ**: « التوكّل على الغير فيما يتصرف فيه المتوكّل بحيث ينيب غيره في أمر تجوز فيه النيابة فهذا لا بأس به بدلالة الكتاب، والسنة والإجماع، فقد قال يعقوب لبنيه: ﴿يَبْنِيْ اَذْهَبُوْا فَتَحَسَّسُوْا مِنْ يُّوسُفَ وَآخِيهِ﴾، ووكل النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، على الصدقة عمالا وحفاظا، ووكل في إثبات الحدود وإقامتها، ووكل علي بن أبي طالب **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ** في هديه في حجة الوداع أن يتصدق بجلودها وجلالها، وأن ينحر ما بقي من المائة بعد أن نحر **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** بيده ثلاثا وستين. وأما الإجماع على جواز ذلك فمعلوم من حيث الجملة» (٢٥)،

ثم يقول العثيمين **رَحِمَهُ اللهُ** أيضا في موضع آخر: «ومع وجود الأسباب الشرعية الصحيحة ينبغي للإنسان أن لا يعلّق نفسه بالسبب بل يعلّقها بالله، فالموظف الذي يتعلّق قلبه بمرتبته تعلقا كاملا مع الغفلة عن المسبب وهو الله فهذا نوع من الشرك،

(٢٥) شرح ثلاثة الأصول ضمن مجموع فتاوى العثيمين (٦/ ٥٥٥).

أما إذا اعتقد أن المرتب سبب والمسبب هو الله
 سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فهذا لا ينافي التوكل، والرسول، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،
 كان يأخذ بالأَسْبَابِ مع اعتماده على المسبب وهو الله
 عَزَّ وَجَلَّ «(٢٦).

هنا نأتي لمسألة أيضا مهمة وهي درجات التوكل على
 الله، لا تتم حقيقة التوكل إلا بهذه الدرجات، فكيف
 يستكمل مقام التوكل بمعرفة هذه الدرجات:
 الدرجة الأولى من درجات التوكل على الله: معرفة
 بالرب وصفاته من قدرته وكفايته وقيوميته وانتهاء الأمور
 إلى علمه وصدورها عن مشيئته واليقين بكفاية وكيله
 وكمال قيامه بما وكله إليه وأن غيره لا يقوم مقامه في ذلك.
 هذا كلام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه طريق الهجرتين (٢٧)،
 ثم يقول بعد أن ذكر هذه الدرجة الأولى قال:

(٢٦) مجموع فتاوى ابن عثيمين (١/١٠٤).

(٢٧) (ص ٢٣٩).

التوكل على الله تعالى

حقيقته وأقسامه

« وهذه المعرفة أول درجات يضع بها العبد قدمه في مقام التوكل »، ونقل عن شيخ الإسلام قوله: « ولذلك لا يصح التوكل ولا يتصور من فيلسوف، ولا من القدرية النفاة القائلين بأنه يكون في ملكه ما لا يشاء، ولا يستقيم أيضا من الجهمية النفاة لصفات الرب جل جلاله، ولا يستقيم التوكل إلا من أهل الإثبات ». كلامه في مدارج السالكين في منزلة التوكل (٢٨).

هذه إذا الدرجة الأولى من درجات التوكل معرفة بالرب **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** وبصفاته من قدرته وكفايته وانتهاء الأمور إلى علمه **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** وصدورها عن مشيئته وكمال قيامه بما وكله إليه وأن غيره لا يقوم مقامه في ذلك هذه أول درجات التوكل كما ذكرها ابن القيم **رَحْمَةُ اللَّهِ**.

الدرجة الثانية: إثبات الأسباب ورعايتها والأخذ بها، أسباب الرزق أسباب الهداية وهكذا، الأسباب لكل فعل من الأفعال.

(٢٨) مدارج السالكين (١١٨/٢).

الدرجة الثالثة من درجات التوكل: رسوخ القلب في مقام توحيد التوكل، فإنه لا يستقيم توكل العبد حتى يصح له توحيده، وحقيقة التوكل توحيد القلب فما دامت في هذا القلب علائق الشرك فتوكله على الله معلول مدخول، وعلى قدر تجريد التوحيد تكون صحة التوكل أشار إلى هذا المعنى ابن القيم **رَحْمَةُ اللَّهِ فِي** مدارج السالكين.

الدرجة الرابعة من درجات التوكل على الله: اعتماد القلب على الله، استناده إليه، سكونه إليه، طمأنينته به، الثقة بتدبيره **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**.

الدرجة الخامسة: حسن الظن بالله **عَزَّ وَجَلَّ**، قال ابن القيم: «والتحقيق: أن حسن الظن به يدعوه إلى التوكل عليه. إذ لا يتصور التوكل على من ساء ظنك به، ولا التوكل على من لا ترجوه. والله أعلم» (٢٩).

(٢٩) مدارج السالكين (١٢١ / ٢).

التوكل على الله تعالى

حقيقته وأقسامه

الدرجة السادسة من درجات التوكل: إستسلام القلب له وانجذاب دواعيه كلها إليه وقطع منازعته.

الدرجة السابعة: تفويض الأمر لله وجل، قال الله عزَّجَلَّ: ﴿ فَسَتَذَكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾ [غافر: ٤٤]، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «وهو روح التوكل ولبه وحقيقته، وهو إلقاء أموره كلها إلى الله، وإنزالها به طلبا واختيارا، لا كرها واضطرارا» (٣٠).

الدرجة الثامنة من درجات التوكل: الرضا، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: وهي ثمرة التوكل ومن العلماء فسره بها قالوا التوكل هو الرضا قال: «فإنما فسره بأجل ثمراته، وأعظم فوائده، فإنه إذا توكل حق التوكل رضي بما يفعله وكيله» (٣١)، ثم قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: بعد أن ذكر هذه الدرجات الثمان من درجات التوكل:

(٣٠) مدارج السالكين (٢/١٢٢).

(٣١) المصدر نفسه (٢/١٢٢).

« فباستكمال هذه الدرجات الثماني يستكمل العبد مقام التوكل، وثبت قدمه فيه » (٣٢).

نأتي لمسألة مهمة أيضا جدا: علاقة الأسباب بالتوكل، كان من هدي النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه اتخاذ الأسباب، كانوا أكمل الخلق توكلا بل إن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لبس الدروع يوم أحد، استأجر دليلا مشركا على دين قومه ليدله على طريق يوم الهجرة كما في حديث عائشة في صحيح البخاري، كان إذا سافر في جهاد أو حج أو عمرة حملت الزاد والمزاد وجميع أصحابه أيضا معه، وقد أخبر الله عَزَّوَجَلَّ في كتابه عن مريم عليها السلام: ﴿ وَهَزَيْتِ إِلَيْكَ يَجْدِعَ النَّخْلَةَ تُسْقِطُ عَلَيْكَ رُطْبًا جَنِيًّا ﴾ [مريم: ٢٥]، هذا دليل على أن الله عَزَّوَجَلَّ يأمر باتخاذ الأسباب كما دل على ذلك ﴿ وَهَزَيْتِ ﴾ هذا أخذ بالأسباب حتى يتساقط الرطب،

(٣٢) يراجع هذه الدرجات في كتاب ابن القيم مدارج السالكين (٢/ ١١٧-١٢٢).

التوكل على الله تعالى

حقيقته وأقسامه

يقول ابن الجوزي **رَحْمَةُ اللَّهِ**: «وقد تشبث القاعدون عَنْ التَّكْسِبِ بتعللات قبيحة منا أنهم قالوا لا بد من أن يصل إلينا رزقنا وهذا في غاية القبح فَإِنَّ الْإِنْسَانَ لو ترك الطاعة وقال لا أقدر بطاعتي أن أغير مَا قَضَى اللهُ عَلَيَّ فَإِنْ كُنْتُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَأَنَا إِلَى الْجَنَّةِ أَوْ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَأَنَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ قُلْنَا لَهُ هَذَا يَرُدُّ الْأَمْرَ كُلَّهَا... ومعلوم أننا مطالبون بالأمر لا بالقدر»^(٣٣)، إِذَا الْإِنْسَانُ مع أخذه بالأسباب وإثباتها لا يعتمد عليها بل ينظر إلى مسببها وهو الله **عَزَّوَجَلَّ**، قال شيخ الإسلام ابن تيمية **رَحْمَةُ اللَّهِ**: «ولهذا قال طائفة من العلماء الالتفات إلى الأسباب شرك في التوحيد، ومحو الأسباب أن تكون أسباباً نقص في العقل والإعراض عن الأسباب بالكلية قدح في الشرع، وإنما التوكل المأمور به ما اجتمع فيه مقتضى التوحيد والعقل والشرع»^(٣٤)،

(٣٣) تلييس إبليس (ص ٢٥٤).

(٣٤) مجموع الفتاوى (١٠ / ٣٥).

فيشير **رَحْمَةُ اللَّهِ** إلى أن الالتفات إلى الأسباب دون النظر إلى الله **عَزَّوَجَلَّ** وأنه الرازق **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** هذا شرك في التوحيد، الالتفات إلى الأسباب دون التوكل على الله هذا شرك في التوحيد، ومحو الأسباب هذا نقص في العقل يعني يتوكل على الله ولا يأخذ بالأسباب هذا نقص في العقل الإعراض عن الأسباب بالكلية هذا قدح في الشرع؛ لأنه مأمور بأوامر لا بد أن ينفذ هذه الأوامر قال: والتوكل المأمور به ما اجتمع فيه مقتضى التوحيد والعقل والشرع، فمقتضى التوحيد التوكل على الله **عَزَّوَجَلَّ** ومقتضى العقل الأخذ بالأسباب، ومقتضى الشرع العمل بالمأمورات هذا معنى كلامه **رَحْمَةُ اللَّهِ**.

نختم هذه الكتابة في موضوع التوكل أيضا ما ذكره ابن القيم **رَحْمَةُ اللَّهِ** في مدارج السالكين كلام قيم في خلاصة حقيقة التوكل على الله **عَزَّوَجَلَّ** يقول: «حقيقة التوكل القيام بالأسباب والاعتماد بالقلب على المسبب - الله **عَزَّوَجَلَّ** -

التوكل على الله تعالى

حقيقته وأقسامه

واعتقاد أن الأمر بيده فإن شاء قام لها موانع وصوارف تعارض اقتضاءها وتدفعه، فالموحد المتوكل لا يلتفت إليها بمعنى أنه لا يسقطها ولا يهملها ويلغيناها، بل يكون قائما بها - يعني بالأسباب - ملتفتا إليها ناظرا إلى مسببها سبحانه ومجريها، فإذا جمعت بين هذا التوحيد وبين إثبات الأسباب: استقام قلبك على السير إلى الله، ووضح لك الطريق الأعظم الذي مضى عليه جميع رسل الله وأنبيائه وأتباعهم، وهو الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم الله عليهم، وبالله التوفيق» (٣٥).

هذا ما أردنا أن نذكره من خلال هذه الكتابة فيها تذكير لنا ولكم من خلال هذا الموضوع الذي يزيد الإيمان بفضل الله **عَزَّوَجَلَّ** لنعرف حقيقة التوكل وأنه لا بد أيضا من الأخذ بالأسباب، وأن التوكل على الله **عَزَّوَجَلَّ** هو الاعتماد عليه **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** وأنه لا يجوز أن يتوكل على المخلوق، التوكل على الله **عَزَّوَجَلَّ**، وهكذا يقول الله

(٣٥) مدارج السالكين (٣/ ٤٦٣).

عَزَّجَلَّ: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَيْتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [التَّغَابُنُ: ١٣]، ﴿

وَعَلَى اللَّهِ فِتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [المَائِدَةُ: ٢٣]، فالتوكل

لا يكون إلا على الله **عَزَّجَلَّ**، والاعتماد لا يكون إلا على الله **عَزَّجَلَّ** فيسلم العبد أمره لله **عَزَّجَلَّ**، ويثق بالله **عَزَّجَلَّ** يعتمد عليه في جميع الأمور، يفوض أمره إلى الله **عَزَّجَلَّ** بعد استفراغ الوسع والأخذ بالأسباب يفوض أمره لله **عَزَّجَلَّ** في استجلاب المصالح ودفع المضار من أمور الدنيا والآخرة كلها.

نسأل الله **عَزَّجَلَّ** أن ينفعنا بما سمعنا، وأن يفقهنا وإياكم في ديننا، كما نسأله **عَزَّجَلَّ** أن يحفظ بلادنا وبلاد المسلمين من كل شر وفتنة، ونسأله **عَزَّجَلَّ** أن يوفق ولاية أمور المسلمين لما يحبه ويرضاه، وأن يرزقهم البطانة الصالحة.

ربنا آتانا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

حقوق الطبع محفوظة

سلسلة كتب شبكة بينونة

التَّوَكُّلُ عَلَى اللَّهِ حقيقته وأقسامه



الشيخ العلامة ابن حجر العسقلاني

www.baynuna.net

لمزيد من الكتب

يرجى مسح الكود أو اتباع الرابط أدناه:

<https://www.baynuna.net/ar/all/ebooks>

